

وأرسل رسله إلى خلقه من الجن والإنس فمنهم من يهتدى حتى يبلغ أعلى عليين، ومنهم من يضل حتى يهوى أسفل سافلين، وصلحاء البشر فيهم صلحاء شبيهون بالملائكة في الإيمان والطاعة والاستقامة وفي مقدمة هؤلاء الصلحاء الرسل وتابعوهم .

فليس الوصف بالبشرية نقصا من حيث البشرية نفسها وإنما معايير النقص والكمال رهينة بكسب الإنسان وعمله .

ومن سنن الله النافذة أن جعل البشر يديرون شئون أنفسهم بأنفسهم على هدى من رسالات الله إليهم لا تديرها لهم ملائكة ولا شياطين، وهذا هو مقتضى التكليف أو المسؤولية كما يعبر عنه في الفكر الحديث .

إذن فإن رواية الحديث عن طريق البشر ليست بدعا من السلوك، ولا سبة تقدرح في سلامة السنة من التحريف في ألفاظها ومعانيها .

وتوصلا إلى هذه الغاية نشأ فن أو علم الجرح والتعديل، هذا الفن، أو العلم وقفه علماء الحديث على معرفة أحوال الرواة من التابعين وتابعيهم ومن غيرهم، وصنفوا الرواة أصنافا مختلفة، ووضعوا لقبول الرواية من كل راو شروطا محكمة .

والتعديل يعنى وصف الراوى بالعدالة إذا توفرت فيه شروطها، والتجريح، يعنى معرفة الرواة غير العدول الذين لا تقبل رواية الحديث عنهم .

فالحديث الذى يقبل من حيث روايه ينبغى أن يكون الراوى، ضابطا ثقة، وهو المسلم البالغ العاقل، السالم من أسباب الفسق وخوارم المرءة، المتيقظ غير المغفل (الغافل) وأن يكون حافظا إذا حدث من حفظه، فاهما إذا حدث على المعنى فى الرواية الشفهية (ينظر الباعث الحثيث : ص ٩٢ وما بعدها) للإمام ابن كثير .

أما رواية ما خالف حاله هذه الأوصاف فلا تقبل، وكذلك لا تقبل رواية أصحاب الأهواء إذا رووا ما يوافق هواهم ولا مجهول الحال .